العرب
الخميس 2020/07/02
السنة 43 العدد 11749

كيف نقرأ اليوم رواية عنصرية

«ذهب مع الريح» رواية تثير الجدل بعد قرن من صدورها

«ذهب مع الريح» حكاية عنصرية

برغم الأحداث التي لا تزال تعصف بالولايات المتحدة تنديدا بالجرائم العنصرية وبشتى رموز استعباد السود، بما في ذلك الأعمال الأدبية والسينمائية، أقدم ناشران فرنسيان هما غاليمار وغاليمستر على طبع ترجمتين لرواية "ذهب مع الرّيح" للأميركية مارغريت ميتشل، دون اعتبار لمضمونها العنصري الذي أدانته عدة جمعيات أميركية منذ صدورها عام 1936.

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

بعد مقتل جورج فلويد، ما يزال السّود في أميركا يعبرون عن نقمتهم ضدّ رموز الاستعباد، ودعاة تفوق العرق الأبيض، ومحرّفي التاريخ الأميركي بشأن تجارة الرقيق واستغلال السود في مزارع القطن بولايات الجنوب منذ مطلع القرن السابع عشر.

وبعد تحطيم أكثر من تمثال، اتّجهت الأنظار إلى كل ما يمثل تمجيدا للاسترقاق وتبريرا للميز العنصري، وفي مقدّمتها رواية مارغريت ميتشل "ذهب مع الرّيح"، التي بيع منها حتى الآن ثلاثون مليون نسخة، وكذلك الشريط الذي استمدّه منها المخرج فيكتور فليمنغ وعهد بدور البطولة فيه لكلارك غيبل وفيفيان لي، ونال ثماني جوائز أوسكار.

> «ذهب مع الريح» عمل إشكالي، فهو رجعيّ في تناوله قضية السّود، وتقدمي في ما يخص انعتاق المرأة

والسبب أن هذه الرواية تصور الاستعباد كمؤسسة سعيدة، وفردوس مفقود خال من القسوة والظلم، وأسرة كبرى لا تسوسها العبودية بل يوحّدها العطف والحنان، إضافة إلى احتوائها على مغالطات تاريخية حول الحرب الأهلية (1861 – 1865) ومرحلة إعادة البناء (1865 – 1877) التي عقبت هزيمة الكونفدراليين.

جنة الجنوب الكاذبة

لقد عُدّت رواية "ذهب مع الرّيح" منذ صدورها رمزا لتآلف عصابات "كو كلوكس كلان" العنصرية المتطرفة، والجماعات التي تحنّ إلى "العصر الذهبيّ" للجنوب، ألفتها مارغريت ميتشل كردّ فعل على التاريخ الرسميّ كما تزعم، تاريخ المنتصرين في الحرب الأهلية، رغم أنها تعترف أنها لم تعرف الحقيقة، أي هزيمة الجنرال روبرت لي والولايات الجنوبية الموالية له، إلا عندما بلغت سنّ العاشرة.

و"ذهب مع الريح" تندرج ضمن كتابات حاولت أن تفند ما صوّرته هاريت بيشر ستو في رواية "كوخ العمّ توم" التي احتلت المشهد الروائيّ خلال القرن التاسع عشر. وميتشل لا تجهل عند تأليف رواياتها، الوحيدة في رصيدها، أنها تنخرط في حرب ذاكرة مع رواية ستو التي استوحت عملها من مرويات هاربين سمعتها في ولاية أوهايو، ومن حضورها بيع عبيد في سوق النّخاسة. وكانت رواية ستو قد صدرت في حلقات في صحيفة مناهضة للاستعباد عقب صدور "قانون الرقيق الهارب" الذي أقره الكونغرس ذو الأغلبية الجنوبية في 18 سبتمبر 1850، ويقضي بإرغام الشماليين على مساعدة الجنوبيين في القبض على العبيد الفارّين من مزارعهم، وتغريم كل من يرفض إيقاف المشتبه بهم.

وكان من الطبيعي أن يعارض مناهضو الرقيق هذا القانون، ومن بينهم هاريت ستو، التي كان لرواياتها أثر كبير في المشهد الثقافي والسياسي حتى قيل إنها هي التي أشعلت فتيل الحرب الأهلية، ونسب إلى أبراهام لنكولن قوله حين قابل الكاتبة "هذه السيّدة الصّغيرة إذن هي التي كانت سببا في حرب كبيرة"، رغم أن جيمس بالدوين انتقد سذاجتها، مثلما انتقد مالكوم إكس قبول بطلها الوضع السائد، وميل السود عموما إلى الخضوع، بدل مقاومة عصابات "كو كلوكس كلان" الإجرامية.

ومارغريت ميتشل تتبنى بلا تحفظ أيديولوجيا "القضية المفقودة" التي يزعم دعاتها أن ولايات الجنوب قاتلت خلال الحرب الانفصالية لأجل استقلالها السياسي الذي كان يهدده اليانكي (الاسم الذي يطلق على أميركيي ولايات الشمال) لأنهم يحسدونهم على نمط حياتهم، وليس بهدف الحفاظ على منظومة الاستعباد. ومن ثمّ حملت رواياتها بعدا أيديولوجيًا يرى الجنوب جميلا متناسقا سعيدا قبل أن يهاجمه "همج" الشمال، وأن الاسترقاق الذي يلام عليه أهلها بتعلات إنسانية واهية لم يكن بالشكل الذي يدّعيه المناوئون، ولكنّها كشفت عن عنصريتها حين صوّرت السود كأفراد قاصرين خائفين أشبه بالحيوانات الأليفة أو الأطفال القُصّر الذين يحتاجون إلى من يحميهم، وليس ثمة في نظرها من حماهم أفضل من أسيادهم البيض.

فهل نقرأ هذه الرواية اليوم بمعزل عن كل تلك المعطيات، أم نعتبرها وثيقة تاريخية تعكس مرحلة ما؟ وهل امّحت الأفكار التي حملتها أم لا تزال حاضرة في خطاب النوستالجيين وممارساتهم؟

جدل وقراءة ناقدة

الجدل حولها وحول الشريط الذي رافقها قائم في الأوساط الأميركية منذ اللحظة الأولى، ولكنه ازداد قوة في الأعوام الأخيرة. فقبل عشر سنوات، أدرجت ريشي ريتشاردسون، أستاذة الأدب بجامعة كورنيل في ولاية نيويورك هذه الرواية ضمن دروسها، للوقوف على الأيديولوجيات الجنوبية التي لا تزال حاضرة في الجناح المتطرف للحزب الجمهوري، وما زلنا نلمس حضورها حتى اليوم في خطاب الرئيس ترامب، فبعد فوز شريط "طفيلي" لبونغ جون هو من كوريا الجنوبية، كتب تغريدة تعبر عن استيائه من تتويج شريط أجنبي قائلا "أعيدوا إلينا ذهب مع الريح"، وكانت رسالة واضحة لأنصار تفوق العرق الأبيض الذين يحنون إلى التفرقة العنصرية.

كذلك شأن الناقد ويسلي موريس، إذ عدّها عملا دعائيًا يوهم بأن العبيد كانوا سعداء بعبوديتهم، ومثالا جليًا للحملة القومية التي نظمت في بداية القرن العشرين للسيطرة على صورة السود وتزوير حقيقة الواقع الأميركي. وفي اعتقاده أن الحرب اندلعت عام 1861 لعدة أسباب، ولكن إلغاء العبودية كان أهمّها، مهما ادّعى محرّفو التاريخ. ولا يستحسن أن يقرأ الكتاب فقط كأثر أدبيّ رائع، بل ينبغي اتخاذه وسيلة لفهم كيفية اشتغال هذه الميثولوجيا، التي لا تزال قائمة حتى اليوم لدى شرائح واسعة من الأميركيين.

أما أندرو كرين، أستاذ الأدب بجامعة ألاباما، فقد رأى في الجدل القائم هوّةً بين جيلين، جيل الآباء ممن ولدوا بعد الحرب العالمية الثانية رأوا في الرواية ثم في الفيلم نشيدا للحب والحرية. وجيل الأبناء الذين يرون عكس ذلك، بل لا يفهمون كيف أحب آباؤهم كتابا ينضح عنصرية. وفي اعتقاده أننا يمكن أن نقرأ الكتاب ولكن بعين ناقدة، فالبطلة سكارلت أوهارا أيقونة شبيهة بدارك فادور أو ميكي ماوس، ولها ما لكوكا كولا من رمزية، فهي تنتمي إلى الثقافة الشعبية، وتصلح أن تكون وسيلة جيدة لتحليل النفسية الأميركية.

بينما أكدت المؤرّخة الأميركية أنّا إيفريت قائلة "إن رغبة رواية 'ذهب مع الرّيح' في إظهار الإرث الأبيض مضلّلة، فهي توهم بأنّ الجنوب كسب الحرب، وتعكس تحريف الأرستقراطية الجنوبية للتاريخ الحقيقيّ للحرب الأهلية، أي الاسترقاق. نحن البلد الوحيد الذي يمجّد عدوّه. الكونفدراليّون كانوا خونة، وحاربوا الولايات المتحدة".

ورغم ذلك، لم يتردد الناشر أوليفيي غالميستر في اقتراح ترجمة جديدة لرواية "ذهب مع الريح" بوصفها أولا وآخرا عملا أدبيا ممتازا، وهو ما تبناه قبله عدّة أدباء من بينهم لوكليزيو، المتوج بنوبل عام 2008، ولم ينظر إليها إلا من الناحية الفنية والجمالية. والسبب أن "ذهب مع الريح" عمل إشكالي، فهو رجعيّ في تناوله قضية السّود، وتقدمي في ما يخص انعتاق المرأة من السلطة البطريركية، تبدو فيه المؤلفة سابقة للحركات النسائية الداعية إلى ضرورة اعتماد المرأة على نفسها، ولكنها تقدم البيزنس على الأخلاق، فسكارلت أوهارا تمثل، قبل دونالد ترامب بقرن ونصف، تفوُّق المال على الأخلاق، إذ لا تتورع عن الغش والكذب واستعمال مفاتنها لتحقيق مراميها.

في رواية "جرائم في أطلنطا" يقدم جيمس بالدوين مفتاحا لفهم هذه الرواية، فيورد جملة نطقت بها سكارلت: "أنا عاجزة عن التفكير. لو أبدأ فسوف أجنّ. سأفكّر غدًا"، ويضيف أن ذلك هو ما طبع تفكير مارغريت ميتشل كلّه.

وزارة الثقافة السعودية تطلق 14 جائزة ثقافية

الرياض – أعلنت وزارة الثقافة السعودية عن إطلاق مبادرة "الجوائز الثقافية الوطنية" وبدء أعمالها منذ يوم الثلاثاء 30 يونيو 2020، حيث تم فتح مجال المشاركة والترشيح عبر المنصة الإلكترونية المخصصة للمبادرة والتي سيتم من خلالها تلقي ترشيحات العموم خلال فترة تمتد لثلاثة أشهر من 30 يونيو حتى 30 سبتمبر المقبل، وفق مسارات متنوعة تشمل جميع المجالات الإبداعية في القطاع الثقافي السعودي.

وتأتي مبادرة "الجوائز الثقافية الوطنية" ضمن برنامج جودة الحياة، أحد برامج تحقيق رؤية السعودية 2030، وتقدمها وزارة الثقافة لتكريم المبدعين في المجال الثقافي السعودي، وفي مختلف الفروع الثقافية، متضمنة 14 جائزة ثقافية سيتم منحها بشكل سنوي لأهم الإنجازات الثقافية التي يحققها الأفراد السعوديون أو المؤسسات الناشطة في المملكة.

وتتوزع الجوائز إلى جائزة شخصية العام الثقافية، وجائزة الثقافة للشباب، وجائزة المؤسسات الثقافية، بالإضافة إلى جائزة الأفلام، وجائزة الأزياء، وجائزة الموسيقى، وجائزة التراث الوطني، وجائزة الأدب، وجائزة المسرح والفنون الأدائية، وجائزة الفنون البصرية، وجائزة فنون العمارة والتصميم، وجائزة فنون الطهي، وجائزة النشر، وجائزة الترجمة. وستمنح وزارة الثقافة "جائزة شخصية العام الثقافية" لأحد رواد الثقافة في السعودية بناء على إسهامات الشخصية في إثراء وتطوير أحد القطاعات الثقافية، ودورها في زيادة الوعي الثقافي، وقدرتها على صناعة حراك ثقافي ملموس، فيما ستمنح الوزارة "جائزة الثقافة للشباب" لإحدى المواهب الثقافية، ممن كانت لها مساهمة ثقافية مميزة في أحد القطاعات الثقافية خلال العامين الماضيين.

وستعتمد جائزة المؤسسات الثقافية على آلية خاصة للترشيح من خلال المنصة الإلكترونية المخصصة للجوائز، وتتضمن أربعة مسارات؛ أولها ترشيح المؤسسة أو الشركة لنفسها، أو الترشيح من قبل المؤسسات الأخرى، أو الترشيح من لجان مختصة من قبل وزارة الثقافة أو الترشيح من قبل العامة.

وزارة الثقافة
Ministry of Culture

> الوزارة تسعى من خلال الجوائز لتكريم المبدعين في المجال الثقافي، وفي مختلف الفروع الثقافية والفنية

فيما ستعتمد الإحدى عشرة جائزة التي تشمل مختلف القطاعات الثقافية على آلية ترشيح تتضمن ثلاثة مسارات؛ أولها ترشيح المشارك لنفسه، أو ترشيح عموم المثقفين والمبدعين للإنجازات الثقافية التي يرون أنها تستحق التقدير، أو الترشيح من لجان مختصة من قبل وزارة الثقافة.

وسيتم استقبال الترشيحات حتى يوم 30 سبتمبر المقبل على أن تكون عملية الفرز خلال شهر أكتوبر، فيما ستتم عملية التصفية خلال شهر نوفمبر، على أن تتم عمليات التقييم والتحكيم خلال شهر ديسمبر 2020، وستعلن أسماء الفائزين بالجوائز في عام 2021.

وتسعى وزارة الثقافة من خلال هذه الجوائز إلى تقدير الإسهامات التي يقدمها المثقفون في المملكة والاحتفاء بإنجازات الموهوبين من أفراد ومجموعات ومؤسسات بشكل سنوي في كافة القطاعات الثقافية والفنية، وذلك من منطلق مسؤولياتها تجاه دعم الإنتاج الثقافي المحلي وتمكين المبدعين من مواصلة منجزاتهم الثقافية.

ندوات رقمية حول واقع السينما اللبنانية والفلسطينية

صور (لبنان) – أطلقت إدارة "مسرح إسطنبولي" و"جمعية تيرو للفنون" و"المسرح الوطني اللبناني" مجموعة ندوات وجلسات رقمية ضمن "شبكة الثقافة والفنون في لبنان"، وذلك من خلال الغرف المغلقة عبر تطبيق زوم بعنوان "واقع السينما اللبنانية والفلسطينية".

ويشارك في الندوات المخرج اللبناني بهيج حجيج في 2 يوليو، والمخرجة الفلسطينية نجوى نجار في 4 يوليو، والمخرج السينمائي اللبناني هادي زكاك في 10 يوليو، وجميع الندوات تعقد عند الساعة الثامنة مساءً بتوقيت بيروت.

كما يشارك في الندوات سينمائيون من المغرب وتونس ومصر والجزائر وفلسطين والعراق وسلطنة عمان والسعودية والأردن، وقد استضافت الندوات السابقة المخرج فيليب عرقجي والمخرج جورج الهاشم والكاتب فارس يواكيم والشاعر هنري زغيب والمصور رمزي حيدر والمايسترو بركيف تسلاكيان، وتبث جميع الندوات للجمهور عبر منصات التواصل الاجتماعي الخاصة بشبكة الثقافة والفنون ومسرح إسطنبولي وجمعية تيرو للفنون.

وأكد مؤسس "المسرح الوطني اللبناني" الممثل والمخرج قاسم إسطنبولي أنه "ومن خلال شبكة الثقافة والفنون في لبنان نسعى مع الفنانين والمؤسسات الثقافية لتكوين منصة رقمية مفتوحة للجميع، وتشكيل تشبيك ثقافي فيما بيننا من أجل التلاقي وفتح صلة وصل للحوار بين الشباب والمخرجين والعاملين في الحقل الثقافي والفني في الوطن العربي".

> سينمائيون من عدة بلدان عربية يناقشون في ندوات تقام عن بعد واقع السينما الفلسطينية واللبنانية

هذا وتعمل جمعية تيرو للفنون على برمجة العروض السينمائية الفنية والتعليمية للأطفال والشباب، وتقديم السينما لأي مُخرج يريد عرض فيلمه بالمجان، ونسج شبكات تبادلية مع مهرجانات في الخارج وفتح فرصة للمخرجين الشباب لعرض أفلامهم ، وتعريف الجمهور بتاريخ السينما المحلية والعالمية، بالإضافة إلى اللامركزية في العروض عبر "باص الفن السلام" للعروض الجوالة.

قاسم إسطنبولي: منصتنا مفتوحة للجميع